

الرَّسَالَة ١١٤

هل يُغَيِّرُ الكَوْشِيُّ جِلْدَهُ؟!

(Arabic - Can the Ethiopian change his skin?)

أحبائي.. حَدِيثَنَا الْيَوْمَ مَوْضُوعُهُ: هل يُغَيِّرُ الكَوْشِيُّ جِلْدَهُ؟!

ومن سفر إرميا الأصحاح الثالث عشرَ نقرأ العَدَدَ الثَّالِثَ والعَشْرِينَ:

" هل يُغَيِّرُ الكَوْشِيُّ جِلْدَهُ؟! . والنمرُ رِقْطَةٌ؟! ".^١

منَ المعلوم أنه يستحيلُ على الكَوْشِيِّ أن يُغَيِّرَ لونَ بشرته الأسود. والكَوْشِيُّ هو الحبشيُّ.. ومنَ المعلوم أيضاً أن النمرَ وهو أرقط لا يقدر أن يُغَيِّرَ منَ لون البقع المنتشرة على جلده والتي يختلف لونها عن باقي جلده.. هذا وذاك عاجزٌ عن تغيير نفسه.. لا يعني ذلك أنه ليس هناك ما هو غير قابل للتغيير.. فكلُّ شيء يتغيَّر ولكن خالق كلِّ الأشياء وحده لا يتغير.. ويومنا هذا الذي نعيشه يختلف عن الأمس الذي عشناه.. فنحن نعيشُ يوماً جديداً.. والطفل الذي يولد اليوم ليس له نظير على الإطلاق بين الملايين أو قُلِّ البلايين من البشر الذين خلقهم الله.. والمجال الآن لا يسمح بشرح مستفيض.. إنَّ الله ذا القدرة على خلق كلِّ ما يُرى وما لا يُرى قادرٌ كذلك على أن يغيِّرَ فيما خلق. ولكن الله لا يغيِّرَ لمجرد التغيير. فبحكمة قد خلق الكلَّ وإذا أراد تغييراً فلحكمة يُجرى التغيير.^٢

إن الله يرى كلَّ ما خلقه حسناً. ففي عينيَّ الربِّ كلُّ ما خلق بديعٌ جميلٌ. ولكن إذا أصيب شيءٌ ممَّا خلقه بسوء. فالله جلَّ جلاله لا يسكتُ.. بل يقومُ بإجراء التغيير ليؤدي الشيءَ وظيفته التي من أجلها خلقه الله.. إنَّ الله بإجراء معجزة يُحدثُ التغييرَ الذي يفوق التصوُّرَ البشريَّ.. فلقد لمسَ الربُّ يسوعُ عينيَّ الأعمى فأبصرَ وأدَّت العينان وظيفتهما.. ولمسَ نعشَ ابن أرملة نايين الذي جاء ذكره بإنجيل لوقا فعادت الروح إلى الجسد الميت وصار حياً ودفعه إلى أمه.. لا يستجيبُ شيءٌ ما إلى تغيير إلا إذا تناولته يديَّ من جبله.. إنَّ الله قادرٌ على تغيير ما يشاء تغييره. فكلُّ شيء مستجيبٌ وخاضعٌ له. ونعطي مثالا شبيهاً مع الفارق: فنحن نعلم أن الإنسانَ قادرٌ على تغيير ما يصنعه بيديه. ولكنه يقف عاجزاً أمامَ ما خلقه الخالق.. قال الربُّ يسوع: "من فيكم إذا اهتم يقدر أن يزيّدَ على قامته ذراعاً واحداً.. وقال أيضاً: لا تحلف برأسك لأنك لا تقدر أن تجعلَ شعرة واحدة بيضاء أو سوداء".^٣

حدث حينما كنتُ بالقاهرة أن أحدَ اللصوص فتح بابَ سيارتي. عساه يجد شيئاً ليسرقه ولما لم يجد ترك أبواب السيارة مفتوحة والأشياء التي بداخلها مبعثرة. ذهبتُ إلى العامل الفني لتركيب الأقفال الجديدة للسيارات. وسألته أن يضع قفلاً جديداً يستحيلُ على أحدهم فتحه. وقلتُ له: إنني مستعدٌ أن أدفعَ الثمنَ مهما كان باهظاً. خوفاً على سيارتي من التعرض للسرقة مرة أخرى. فقد يطعم السارق المرة الأخرى في السيارة وبما فيها. فأجابني بالقول: إنه لا توجد أقفال يستحيل فتحها. لأن الذي صنع تلك الأقفال بشرٌ. وما صنعه البشرُ لا يستحيل على بشر أن يكتشف سرَّ صنعه. إن ما يستحيل على الإنسان هو الشيء الذي لم يصنعه الإنسان.. فأدركتُ حكمة العامل الفني.. ووقتها اتجه قلبي وفكري إلى ذلك الذي "يستطيع كلُّ شيء ولا يعسر عليه أمر".^٤

أخذتُ أفكرُ في الإله الحيِّ القدير المحبِّ الذي رأى الإنسانَ عاجزاً عن خلاص نفسه من الخطية التي أجزتها الموت الأبدى فدبر بنفسه أمرَ خلاصه.. لقد جاء ابنُ الله متجسداً ليدفعَ الثمنَ على صليب الجلجثة.. فكلُّ من يقبل السيدَ المسيحَ مُخلصاً شخصياً له.. يجرى اللهُ فيه بروحه القدس تغييراً عجبياً وهذا التغيير نسميه اختبار التجديد. أو اختبار الميلاد الثاني. أو اختبار الحياة الجديدة. فينال الإنسان بالإيمان تبريراً من خطاياهِ فلا يهلك في

استمع إلى الإنجيل

^١ سفر إرميا ١٣: ٢٣ ، ،
^٢ إنجيل متى ٦: ٢٧ ، الرسالة إلى العبرانين ٨: ١٣ ، سفر المزمير ١١٨: ٢٤ ، سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي ٢١: ٥
^٣ سفر التكوين ١: ٣١ ، إنجيل متى ٢٠: ٣٤ ، إنجيل لوقا ٧: ١٥ ، إنجيل متى ٥: ٣٦
^٤ سفر أيوب ٤٢: ٢ ، إنجيل لوقا ١٨: ٢٧

النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته بل يتمتع بالحياة الأبدية مع الملائكة الأظهار والقديسين الأبرار.. إن الكوشى يستحيل عليه تغيير جلده ولا يقدر النمر أن يغير رقطه.. فإذا كان المخلوق غير قادر على تغيير اللون الخارجى. فكم هو مستحيل عليه تغيير القلب الفاسد الملوث بالإثم.. ولكن "غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله".^١

بالأصحاح الحادى عشر من سفر حزقيال يقول الرب: "وأعطيهم قلباً واحداً وأجعلُ فى داخلهم روحاً جديداً وأنزغُ قلبَ الحجر من لحمهم وأعطيهم قلبَ لحم. لكى يسلكوا فى فرائضى ويحفظوا أحكامى ويعملوا بها ويكونوا لى شعباً وأكونُ لهم إلهاً". ولقد عرف داود النبى أن الرب وحده هو القادر على التغيير لذلك نراه فى مزموره الحادى والخمسين يتضرع إلى الله قائلاً: "اغسلنى كثيراً من إثمى ومن خطيئى طهرنى. قلباً نقياً أخلق فى يا الله وروحاً مستقيماً جدد فى داخلى. فأعلم الأئمة طرقك والخطاة إليك يرجعون".^٢

وفى العهد الجديد يقول بولس الرسول فى رسالته الثانية إلى مؤمنى كورنثوس بالأصحاح الخامس: "إذا إن كان أحدٌ فى المسيح فهو خليفة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضتْ وهذا الكل قد صار جديداً". وفى رسالته الأولى إليهم بالأصحاح الخامس عشر يتحدث بولس الرسول عن آخر تغيير يُحدثه الرب فى أجسادنا نحن المؤمنين الذين بنعمته الغنية حصلنا على الميلاد الثانى.. لنكون مؤهلين للحياة الأبدية فى النعيم الأبدى بقوله: "وكما لبسنا صورة الترابى سنلبس أيضاً صورة السماوى فأقول هذا أيها الإخوة: إن لحمًا ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله. هوذا سرٌ أقوله لكم لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير. فى لحظة فى طرفة عين عند البوق الأخير فإنه سيبوقُ فيقام الأموات عديمى فساد ونحن نتغير لأن هذا الفاسد لا بد أن يلبسَ عديمَ فسادٍ وهذا المائت يلبسَ عديمَ موتٍ فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة ابتلع الموت إلى غلبة.. أين شوكتك يا موثر وأين غلبتك يا هاوية؟!".^٣

لا شك أننا نعانى من ذلك الجسد المائت ونتطلع إلى اللحظة التى فيها نلبس عدم موت.. وقریباً جداً سيأتى يومٌ فيه نتغير ونخطف. لتتلاقى مع الرب فى الهواء ولكن هذا التغيير لا بد أن يسبقه تغييرٌ وهو تغييرُ القلب. يستحيل علينا تغيير أنفسنا ولكن لا يستحيل علينا أن نفتح قلوبنا للإله المحب القدير ليغيرها ويجددها ليسكن الروح القدس فيها. بهذا ننال بنوية الله ونكون مؤهلين للتغيير النهائى للاختطاف لملافة الرب الآتى كما وعد.

فهل اختبرت عزيزى القارئ هذا التغيير؟. إن كنت قد اختبرته فهنيئاً لك. وجديرٌ بك أن تقدم شكراً وتسبحاً لله الذى أحبك وديرٌ أمر خلاصك. وإن كنت لم تختبر هذا التغيير بعد.. فالفرصة متاحة لك الآن.. لقد قال الرب يسوع فى موعظته على الجبل بإنجيل متى الأصحاح السابع العدد السابع: "من يسأل يأخذ. ومن يطلب يجد. ومن يقرع يفتح له". ولقد جاء بالرسالة إلى العبرانيين الأصحاح الثالث بالعدد السابع: "اليوم يوم خلاص والوقت وقت مقبول فإن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم".^٤

أدعوك أحياناً أن تصلى معى: أبانا السماوى.. يا فاحص القلوب ومختبر الكلى. اغسلنى كثيراً من إثمى ومن خطيئى طهرنى. قلباً نقياً أخلق فى يا الله وروحاً مستقيماً جدد فى داخلى. اجعل مئى إباءاً للكرامة نافعاً لخدمتك. شاهداً لخلاصك وعمل نعمتك. فأعلم الأئمة طرقك والخطاة إليك يرجعون. أرفع صلواتى فى اسم يسوع الفادى.. واتقاً من استجابتك لى يا من وعدت بقولك: من يقبل إلى لا أخرجه خارجاً.

أخى القارئ العزيز.. إن أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك فى:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ٦: ٢٣ ، إلى تيطس ٣: ٥ ، إلى مؤمنى غلاطية ٦: ١٥ ، إنجيل يوحنا ٣: ١٦-١٨

^٢ سفر حزقيال ١١: ١٩-٢٠ ، سفر المزامير ٥١: ٢ & ١٠ & ١٣

^٣ رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمنى كورنثوس ٥: ١٧ ، الأولى إلى مؤمنى كورنثوس ١٥: ٣٥-٥٨

^٤ إنجيل متى ٧: ٧ ، رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمنى كورنثوس ٦: ٢ ، الرسالة إلى العبرانيين ٣: ٧

^٥ رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس ٢: ٢١